موقف الإمام أبي حنيفة من الفرق المعاصرة له

د. إحسان لطيف أحمد الدوري
كلية الإمام الأعظم / قسم الأنبار

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فلقد كانت ثقافة الإمام أبي حنيفة النعمان ــ رحمه الله تعالى ــ متنوعة ، فكانت علومه حديقة غناء ينهل منها الطالبون ، ويقطف من ثمارها القاطفون ، ما لذ وطاب لهم ، وكان لجانب الكلام والفرق ومجادلتها وإبطال عقائدها نصيب وافر ، فقد ابتدأ ــ رحمه الله تعالى ــ حياته العلمية به ، فضلا عما كانت عليه الكوفة من كونها أرضا خصبة لكل فنون العلوم ، ومرتعا لأنواع الفرق العقدية .

وإذا كان ــ رحمه الله تعالى ــ قد سطّر معتقده في الفقه الأكبر ــ مما يسهل على الباحث دراسة عقيدته أو آرائه الاعتقادية ــ فإنه لم يسطر مناظراته أو أقواله في الفرق الكلامية ورجالاتها وأئمة مذاهبها مما يحتم على الباحث فيها أن يفتش عنها بين سطور الفقه الأكبر من ناحية ، وفي ثنايا الكتب التي ترجمت له أو كتبت عن سيرته من ناحية أخرى .

وقد كانت له ــ رحمه الله تعالى ــ مع أهل الكلام مناظرات عديدة ، فلم تخل فرقة من هذه الفرق إلا وله فيها أو معها كلام أو حُكْم أو مناظرة ، كما أنه لم يتحرج من الحكم ــ حكما واضحا ــ على الفرقة كلها أو الحكم على أصحابها كذلك ، حتى أنه لم ينس أن يحذر طلابه والمسلمين من ذلك ــ أيضا ــ .

هذا وقد وكانت خطوات البحث ابتدأت بجمع المادة العلمية ــ وقد أفدت من تأريخ بغداد للخطيب الغدادي ، والفقه الأكبر للملا علي القاري فائدة عظيمة في جمع المادة العلمية ــ وقد قدمت لكل فرقة بمقدمة مقتصرة على التعريف بها وبيان أهم معتقداتها ، وأفكارها ، ورجالاتها ، ثم نقل ما روي عن أبي حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ من أقوال وأحكام فيها وفي رجالاتها ، ثم سرد مناظراته ــ إن وجدت ــ مع تلك الفرقة ، أعقبت ذلك كله بما يؤيد مخالفته لهذه الفرقة أو تلك من معتقده في الفقه الأكبر ، أو غيره من الكتب التي نقلت عنه .

وقد تضمن البحث تمهيدا : في بيان ابتداء اشتغاله بالكلام ومجادلة الفرق ، بحثت بعدها فيما يأتي :

أولا : موقفه من الخوارج .	ثانيا : موقفه من الشيعة .
ثالثا : موقفه من القدرية .	رابعا : موقفه من الجهمية .
خامسا : موقفه من المعتزلة .	سادسا : موقفه من المرجئة.
سابعا : موقفه من المشبهة .	ثامنا : موقفه من الملاحدة .

وأود أن أشير إلى أنني لم أتطرق في رده على الفرق إلى الأدلة والمناقشات ، لأن بسط ذلك يطول ، وهو مسطر كله في كتب علم الكلام .

أما أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث فهي كما يأتي :

١ــ إن الإمام أبا حنيفة ــ رحمه الله ــ قد ابتدأ حياته العلمية بمقارعة الخصوم من أصحاب الفرق الضالة ، والنحل والباطلة ، وقد تبين ذلك جليا في التمهيد في قوله : " أن أبا حنيفة قال : كنت رجلا أعطيت جدلا في الكلام ، فمضى دهر أتردد فيه ، وبه أخاصم ، وعنه أناضل ... وكنت نازعت طبقات الخوارج من الإباضية والصفرية وغيرهم " .

٢ــ وكان له من الخوارج موقف واضح في إبطال أفكارهم ، إلا أنه مع ذلك لا يغلظ القول معهم أو يهيج عليهم جماهير المسلمين ، لما يعرف من نزعتهم العصبية والهوس والتشدد لفكرتهم ، مع الخشونة في الدفاع عنها وإن أدى ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم ، ولذلك قال فيهم : " لولا علي لم نعرف السيرة في الخوارج " ، وكان رده على مقولة الخوارج في التحكيم وأصحابه واضحا : " وأفضل الناس بعد النبيين ــ عليهم الصلاة والسلام ــ أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي ابن أبي طالب المرتضى ــ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ــ عابدين ثابتين على الحق ومع الحق نتولاهم جميعا " .

٣ــ وتجلى موقفه من الشيعة والمغالين منهم ، فقد ردّ حديث ردّ الشمس لسيدنا علي ــ ﷺ ــ ، وبين موقفه ممن يقع في أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ منهم ، فأجاب أبا عصمة حينما سأله : بمن تأمرني أن أسمع الأثر ؟ قال : من كل عدل في هواه إلا الشيعة فإن أصل عقيدتهم تضليل أصحاب محمد ــ ﷺ ــ .

٤ــ وكان موقفه من القدرية أوضح من سابقيه حيث كانت له معهم صولات وجولات كما هو مبين في رده عليهم ومناظراته معهم في إبطال معتقدهم ، حتى أنه روى عدة أحاديث في مسنده تبين ضلالاتهم وتحذر من بدعتهم .

٥ــ وكان موقفه من الجهمية والمشبهة أشدّ وضوحا ، فقد وصف الفرقتين وإماميهما بالتعطيل والتشبيه والإفراط في ذلك ، ووصمهما بأصحاب الرأي الخبيث ، بل تجاوز ذلك كله ليحكم على جهم بالكفر ، ووصفه هو ومقاتل بأنهما من شر الناس.

٦ــ ولم يقلّ حكمه على المعتزلة وضوحا من حكمه على الجهمية والمشبهة ، فإذا كان قد صرح بكفر جهم فإنه لعن عمرو بن عبيد لأنه فتح للناس الطريق إلى الكلام ، ووصف الفرقة كلها بالبدعة ، وحكم بعدم جواز الصلاة خلف من يقول : القرآن مخلوق ، كما أنه وصفهم بأنهم أصحاب أهواء وتمويه .

٧ــ ورفض مقالة المرجئة رفضا قاطعا ، لأنها تدعو إلى الانفلات والانحلال ، فقال : " ولا نقول إن المؤمن لا تضره الذنوب ، ولا نقول إنه لا يدخل النار ، ولا نقول

إنه يخلد فيها وإن كان فاسقا بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنا ولا نقول إن حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة " ، كما أنه تبرأ من وصفه بالإرجاء .

٨ــ وأبطل الفكر الإلحادي المبني على التحلل من الشرائع ، والعدول عن الظاهر إلى الباطن ، فكانت له مع الملاحدة مناظرات أبطل فيها منحاهم .

هذا ولا أدعي الكمال فيا دونت أو سطرت ، لأن الكمال لله ــ وحده ــ ولكن هذا جهد المقل فما كان فيه من صواب فمن الله ــ تعالى ــ وما كان فيه من زلل أو نقص أو خلل فمن الشيطان ومن نفسي .

والحمد لله أولا وآخرا ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الباحث

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فلقد كانت ثقافة الإمام أبي حنيفة النعمان ــ رحمه الله تعالى ــ متنوعة ، فكانت علومه حديقة غناء ينهل منها الطالبون ، ويقطف من ثمارها الراغبون ، ما لذ وطاب لهم ، وكان لجانب الكلام والفرق ومجادلتها وإبطال عقائدها نصيب وافر ، فقد ابتدأ ــ رحمه الله تعالى ــ حياته العلمية به ، فضلا عما كانت عليه الكوفة من كونها أرضا خصبة لفنون العلوم كلها ، ومرتعا لأنواع الفرق العقدية .

وإذا كان ــ رحمه الله تعالى ــ قد سطّر معتقده في الفقه الأكبر ــ مما يسهل على الباحث دراسة عقيدته أو آرائه الاعتقادية ــ فإنه لم يسطر مناظراته أو أقواله في الفرق الكلامية ورجالاتها وأئمة مذاهبها مما يحتم على الباحث فيها أن يفتش عنها بين سطور الفقه الأكبر من ناحية ، وفي ثنايا الكتب التي ترجمت له أو كتبت عن سيرته من ناحية أخرى .

وقد كانت له ــ رحمه الله تعالى ــ مع أهل الكلام مناظرات عديدة ، فلم تخل فرقة من هذه الفرق إلا وله فيها أو معها كلام أو حُكْم أو مناظرة ، كما أنه لم يتحرج من الحكم ــ حكما واضحا ــ على الفرقة كلها أو الحكم على أصحابها كذلك ، حتى أنه لم ينس أن يحذر طلابه والمسلمين من ذلك ــ أيضا ــ .

هذا وكانت خطوات البحث ابتدأت بجمع المادة العلمية ــ وقد أفدت من تأريخ بغداد للخطيب البغدادي ، والفقه الأكبر للملا علي القاري فائدة عظيمة في جمع المادة العلمية ــ وقد قدمت لكل فرقة بمقدمة مقتصرة على التعريف بها وبيان أهم معتقداتها وأفكارها ورجالاتها ، ثم نقلت ما روي عن أبي حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ من أقوال وأحكام فيها وفي رجالاتها ، ثم سردت مناظراته ــ إن وجدت ــ مع تلك الفرقة ، أعقبت ذلك كله بما يؤيد مخالفته لهذه الفرقة أو تلك من معتقده في الفقه الأكبر ، أو غيره من الكتب التي نقلت عنه .

وقد تضمن البحث تمهيدا : في بيان ابتداء اشتغاله بالكلام ومجادلة الفرق ، بحثت بعدها فيما يأتي :

أولا : موقفه من الخوارج . ثانيا : موقفه من الشيعة .

ثالثا : موقفه من القدرية . رابعا : موقفه من الجهمية .

خامسا : موقفه من المعتزلة . سادسا : موقفه من المرجئة.

سابعا : موقفه من المشبهة . ثامنا : موقفه من الملاحدة .

وأود أن أشير إلى أنني لم أتطرق في رده على الفرق إلى الأدلة والمناقشات ، لأن بسط ذلك يطول ، وهو مسطر كله في كتب علم الكلام .

هذا ولا أدعي الكمال فيا دونت أو سطرت ، لأن الكمال لله ــ وحده ــ ولكن هذا جهد المقل فما كان فيه من صواب فمن الله ــ تعالى ــ وما كان فيه من زلل أو نقص أو خلل فمن الشيطان ومن نفسي .

والحمد لله أولا وآخرا ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

تمهيـــد

يبين اهتمامه بمناظرة الفرق في بداية طلبه للعلم

لقد كانت الكوفة موطن ولادة الإمام أبي حنيفة ــ ولا تزال ــ إحدى مدن العراق العظيمة ، وفيها مركز خلافة سيدنا علي ــ ﷺ ــ ، ومنشأ مدرسة عبد الله بن مسعود ــ ﷺ ــ ، وموطن الفقهاء ، والقراء ، والتجار ، والفتن والاضطرابات ، وكان إمامنا في بداية حياته يختلف إلى السوق ــ لأن أسرته من أهل اليسار وتحترف التجارة ــ قبل أن يختلف إلى العلماء ، إلا أنه انصرف إلى العلم بنصيحة من أحد الأئمة الأعلام الذين كانوا بالكوفة وهو الإمام الشعبي ــ رحمه الله ــ ، وإليك القصة التي رواها الخطيب البغدادي عن يحيى بن شيبان : " أن أبا حنيفة قال : كنت رجلا أعطيت جدلا في الكلام ، فمضى دهر أتردد فيه ، وبه أخاصم ، وعنه أناضل ، وكان أصحاب الخصومات والجدل أكثرهم بالبصرة ، فدخلت البصرة نيفا وعشرين مرة ، أقيم سنة وأقل وأكثر ، وكنت نازعت طبقات الخوارج من الإباضية والصفرية وغيرهم ، وكنت أعد الكلام أفضل العلوم ، وكنت أقول هذا الكلام في أصل الدين ، فراجعت نفسي بعد ما مضى لي فيه عمر ، وتدبرت ، فقلت : إن المتقدمين من أصحاب النبي ــ ﷺ ــ والتابعين لم يكن يفوتهم شيء مما ندركه نحن ، وكانوا عليه أقدر ، وبه أعرف ، وأعلم بحقائق الأمور ، ثم لم ينتصبوا فيه منازعين ولا مجادلين ، ولم يخوضوا فيه ، بل أمسكوا عن ذلك ، ونهو عنه أشد النهي ، ورأيت خوضهم في الشرائع وأبواب الفقه وكلامهم فيه ، عليه تجالسوا ، وإليه حضروا كانوا يعلمون الناس ... تركنا المنازعة والمجادلة والخوض في الكلام واكتفينا بمعرفته ، ورجعنا إلى ما كان عليه السلف " [1] .

<u>أولا:</u> موقفه من الخوارج :

يعد الخوارج أكثر الفرق تطرفا وشدة وحدة ومبالغة في وصف أنفسهم بأنهم أصحاب المذهب الحق في معتقدهم ، بل لا توجد فرقة أشد حماسا ، وأكثر تهورا في تفكيرهم ، وأشد اقتحاما في للأهوال في سبيل دعوتهم منهم .

---

[1] تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣ / ٣٣١ ، ٣٣٢ .

وإن الناظر في تأريخهم يجدهم لا يتحرجون من إطلاق الأحكام القاسية على مخالفيهم من جانب ، أو من الانفصال عن أي شخص مهما كان علمه أو مكانته عند الله أو عند الناس ، وكل ذلك لمجرد عدم موافقتهم في مدعاهم ، يتضح ذلك في مناصرتهم لعبد الله بن الزبير ــ رضي الله عنهما ــ على الأمويين ولكنه حينما لم يتبرأ من أبيه وطلحة وعلي وعثمان قتلوه ، ولم يجمعهم معه جامع [١] ، ولما ناقش عمر بن عبد العزيز شوبا الخارجي اختلفوا معه في مسألة التبرؤ من أجداده الظالمين ــ حسب وصفهم ــ مع إقرارهم أنه خالفهم ومنع استمرار الظلم ورد الحقوق إلى أهلها ، إلا أن عدم تبرئه منهم حال بينهم وبينه [٢] .

وقد سموا بهذا الاسم لخروجهم على علي ــ ﷺ ــ ومحاربتهم إياه بعد أن كانوا في صفوف جيشه [٣] ، قال أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ : " لولا عليٌّ لم نعرف السيرة في الخوارج " [٤] .

والخوارج فرق كثيرة أوصلهم الأشعري وغيره [٥]

إلى عشرين فرقة [١] ، وقد اتفق أغلب أصحاب هذه الفرق على أمرين لا ثالث لهما ، وهما :

---

[١] أبو حنيفة لمحمد أبو زهرة : ١٠٧ .

[٢] م . ن .

[٣] الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ١١٤ .

[٤] شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري : ١٠٢ .

[٥] ينظر : مقالات الإسلاميين للأشعري : ١ / ١٦٤ ــ ١٧٩ ، الفرق بين الفرق للبغدادي : ٧٢ ــ ١٠٤ ، التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني : ٤٥ ــ ٦٢ ، البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي : ١٧ ــ ٣٢ .

١ــ تكفير علي وعثمان ، وأصحاب الجمل والحكمين ، وكل من رضي بالحكمين .

٢ ــ تكفير كل من أذنب ذنبا من أمة محمد ــ ﷺ ــ وأنه في نار جهنم خالدا مخلدا .

وقد روى المكي عن أبي حنيفة أنه قال : " وكنت نازعتطبقات الخوارج من الإباضية [٢] والصفرية [٣] وغيرهم " [٤] .

وقد نقل لنا الموفق المكي بعض مناظرات أبي حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ للخوارج ، منها : " أن الخوارج لما ظهروا على الكوفة أخذوا أبا حنيفة فقالوا : تب يا شيخ من الكفر ! فقال : أنا تائب إلى الله من كل كفر ، فخلوا عنه ، فلما ولّى قيل لهم :

---

[١] وهي : المحكمة الأولى ، الأزارقة ، النَّجدات ، الصُّفْرِية ، العجاردة ، الحازمية ، الشعيبية ، المعلومية ، المجهولية ، أصحاب الطاعة ، الصلتية ، الأخنسية ، الشبيبية ، الشيبانية ، المعبدية ، الرشيدية ، المكرمية ، الحمزية ، الشمراخية ، الإبراهيمية ، الواقفة ، الأباضية .

[٢] الإباضية : هم أتباع عبد الله بن إباض التميمي ت ٨٦ هـ وقد اضطرب المؤرخون في سيرته وكان معاصرا لمعاوية وعاش أواخر أيام عبد الملك بن مروان ، وقد أجمعوا على القول بإمامة عبد الله بن إباض ، وافترقوا فيما بينهم فرقا إلا أنها يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة الذين هم مخالفوهم من هذه الأمة برآء من الشرك والإيمان ، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين إلا أنهم كفار ، تجوز مناكحتهم وموارثتهم وشهادتهم ، ولا يجوز من أموالهم إلا الكراع والسلاح عند الحرب ، أما ما سوى ذلك فحرام ، ينظر : مقالات الإسلاميين للأشعري : ١ / ١٨٧ ، الفرق بين الفرق للبغدادي : ٩٥ ــ ١٠٠ ، التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني : ٥٨ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ١٣٤ .

[٣] الصفرية : وهم أتباع زياد بن الأصفر ، ويعدون أقل الخوارج شذوذا وغلوا وخالفوهم في أمور منها : أنهم لم يقولوا بكفر القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الاعتقاد ، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم ، وقالوا : إن الذنب الذي ليس فيه حدّ كازنا والسرقة والقذف لا يسمى مرتكبه كافرا بل زانيا أو سارقا أو قاذفا ، وأما الذنوب التي ليس فيها حد لعظم قدرها كترك الصلاة والفرار من الزحف فإنه يكفر بذلك ، ، ينظر : مقالات الإسلاميين للأشعري : ١ / ١٦٩ ، الفرق بين الفرق للبغدادي : ٨٤ ــ ٨٥ ، التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني : ٥٣ ، ٥٤ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ١٣٧ .

[٤] مناقب أبي حنيفة للموفق المكي : ٥٤ .

إنه تاب من الكفر ، وإنما يعني به ما أنتم عليه فاسترجعوه ، فقال رأسهم : يا شيخ إنما تبت من الكفر ، وتعني به ما نحن عليه ؟ فقال أبو حنيفة : أبظنٍ تقول هذا أم بعلمٍ ؟ فقال : بل بظنٍ ، فقال أبو حنيفة : إن الله ــ تعالى ــ يقول : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً " [1] وهذه خطيئة منك ، وكل خطيئة عندك كفر ، فتب أنت أولا من الكفر ، فقال : صدقت يا شيخ ، أنا تائب من الكفر " [2] .

وقد ناظر أبو حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ من الخوارج أولئك الذين كفروا المسلمين بالذنوب ، وكانوا ــ حينما بلغهم أنه لا يكفر المسلمين بالذنوب ــ قد بعثوا إليه من يجادله في ذلك ، وقد روى المناظرة هذه ــ أيضا ــ الموفق المكي قال : " قالوا له : جاءت جنازتان ووقفت على باب المسجد ، إحداهما لرجل شرب الخمر حتى امتلأت به بطنه فلفظ أنفاسه بها فمات على ذلك ، والأخرى لامرأة زنت حتى إذا أيقنت بالحمل قتلت نفسها ، فأجابهم أبو حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ قائلا : من ملة اليهود كانا أم من ملة النصارى ؟ قالوا : لا ، قال : أفمن ملة المجوس ؟ قالوا : لا ، قال : من أي الملل كانا ؟ قالوا : من الملة التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، قال : فأخبروني عن الشهادة كم هي من الإيمان ؟ ثلث أم ربع أم خمس ؟ قالوا : إن الإيمان لا يكون ثلثا ولا ربعا ولا خمسا ، قال : فكم هي من الإيمان ، قالوا : الإيمان كله ، قال : فما سؤالكم إياي عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين ، قالا : دع عنك ، أمن أهل الجنة هما أم من أهل النار ؟ قال : أما إذا أبيتم فإني أقول فيهما ما قال نبي الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ في قوم كانوا أعظم جرما منهم : " رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " [3] ، وأقول فيهما ما قال نبي الله عيسى ــ عليه السلام ــ في قوم كانوا أعظم جرما منهما : " إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

---

[1] سورة الحجرات : من الآية ١٢ .

[2] مناقب أبي حنيفة : ١٥١ ، ١٥٢ .

[3] سورة سورة إبراهيم : ٣٦ .

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " [1] ، وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح ــ عليه السلام ــ : " قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۞ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ " [2] ، وأقول فيهما ما قال نبي الله نوح ــ عليه السلام ــ : " وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ " [3] ، قال : فألقوا السلاح وقالوا : تبرَّأنا من كل دين كنا عليه ، وندين الله بدينك فقد آتاك الله فضلا وحكمة وعلما [4] .

وقد سطَّر ــ رحمه الله تعالى ــ رده على معتقد الخوارج هذا في الفقه الأكبر ليبقى ماثلا بين يدي المسلمين شاهدا على موقفه منهم فقال : " ولا نكفر أحدا بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها " [5] ، قال الملا علي القاري : كما يكفر الخوارج مرتكب الكبيرة [6] ، كما أنه بين حكمه في الختنين عثمان وعلي ــ رضي الله عنهما ــ بقوله : " وأفضل الناس بعد النبيين ــ عليهم الصلاة والسلام ــ أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي ابن أبي طالب المرتضى ــ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ــ عابدين ثابتين على الحق ومع الحق نتولاهم جميعا " [7] ، قال الملا علي القاري : وفيه الرد على الخوارج حيث يقولون : بكفر علي ومن تابعه ، وكفر معاوية ومن شايعه ، حيث ارتكبوا قتل المؤمن ، وهو عندهم كبيرة مخرجة عن حد الإيمان [8] .

---

[1] سورة المائدة : ١١٨ .

[2] سورة الشعراء : ١١١ ــ ١١٣ .

[3] سورة هود : ٣١ .

[4] مناقب أبي حنيفة : ١٠٨ ، ١٠٩ .

[5] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ١٩ .

[6] شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري : ١٠٢ .

[7] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ١٨ .

[8] شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري : ١٠١ .

ثانيا: موقفه من الشيعة :

هم الذين شايعوا سيدنا عليا ــ ﷺ ــ واعتقدوا أنه أحق بالخلافة ، وأنه الخليفة والإمام بالنص جليا كان أو خفيا ، وأن الإمامة لا تخرج عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتبعية منه أو من أولاده ، واعتقدوا بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر ، وقد سموا فيما بعد بالروافض ، لرفضهم رأي زيد بن علي حينما طلبوا منه لعن الشيخين أبي بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ وكان قد منعهم من ذلك وأقام عليهم الحجة ، أو لأنهم رفضوا رأي الصحابة في الشيخين ، وقد تشعبوا فيما بعد إلى فرق لا طائل لها يجمعها القول بإمامة علي ــ ﷺ ــ وعصمة الأنبياء والقول بالتبري قولا وفعلا إلا تقية . [1]

ولم يتطرق الإمام أبو حنيفة إلى عقائد الشيعة التي يخالفون فيها أهل السنة بالتفصيل ، وإنما كان له القول الفصل فيما يبتني عليه أساس مذهبهم في القول بإمامة سيدنا علي وأولاده ــ ﷺ ــ قائلا : " وأفضل الناس بعد النبيين ــ عليهم الصلاة والسلام ــ أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي ابن أبي طالب المرتضى ــ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ــ عابدين ثابتين على الحق ومع الحق نتولاهم جميعا " [2] ، قال الملا علي القاري : وفيه الرد على الروافض حيث يقولون في حق الثلاثة : إنهم تغيروا عما كانوا عليه في زمنه ــ ﷺ ــ حيث نزل في حقهم الآيات الدالة على فضائلهم ، وورد في شأنهم الأحاديث المشعرة عن حسن شمائلهم " [3] .

وكان لأبي حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ مع بعض رؤوسهم مناظرات ، أراد بها أن يهدم ركن الغلو الذي تبني عليه أغلب الفرق الغالية عقائدها وأفكارها وبه تجذب قلوب الساذجين والجاهلين من الناس ، ولم تخل فرقة من الفرق من هذا الأمر ، وقد كان

---

[1] ينظر : الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ١٤٦ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي : ٥٢ .

[2] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ١٨ .

[3] شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري : ١٠١ .

للشيعة فيه نصيب وافر ، ومن طالع كتبهم تبين له ذلك ، ومن هذه المناظرات مناظرته مع محمد بن علي البجلي الملقب بشيطان الطاق ، وقد أورد المناظرة هذه الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته [1] قال : إن أبا حنيفة لقي محمد ابن نعمان فقال له أبو حنيفة : عمن رُوِّيت حديث ردّ الشمس ؟ فقال : عن غير الذي رُوِّيت عنه يا سارية الجبل " [2] ، وإنكار هذه الرواية لا يقدح في سيدنا علي ــ ﷺ ــ ولا ينقص من قدره شيئا ، لأنه كما قال ابن عبد البر : وقد أجمعوا أنه أول من صلى القبلتين ، وهاجر ، وشهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد ، وأنه أبلى ببدر وأحد والخندق وخيبر البلاء العظيم ، وكان لواء رسول الله ــ ﷺ ــ بيده في مواطن كثيرة ، ولم يتخلف إلا في تبوك خلَّفه رسول الله ــ ﷺ ــ

---

[1] لسان الميزان : ٥ / ٣٠١ .

[2] أما حديث ردّ الشمس لسيدنا علي : فهو " كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوحى إليه ورأسه في حجر علي ــ رضي الله عنه ــ فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فرُدَّ عليه الشمس قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت " وهو حديث موضوع ومنكر وباطل ومضطرب ، ينظر : مشكل الآثار للطحاوي : ٢ / ٨ ، الأباطيل والمناكير للجوزقاني : ١ / ١٥٨ ، الموضوعات لابن الجوزي : ١ / ٣٥٥ ، وأما أثر سارية بن زنيم ــ رضي الله عنه ــ : فقد روي عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن عمر ــ رضي الله عنه ــ كان بعث بعثا إلى بلاد فارس ، عليهم سارية بن زُنيم ــ رضي الله عنه ــ فقاتلوا العدو في نهاوند وكان كثيرا ، فقال عمر ــ رضي الله عنه ــ يوما وهو يخطب على منبر المدينة يوم جمعة : يا ساريةُ الجبلَ ، من استرعى الذئب ظلم ، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ، فقال علي ــ رضي الله تعالى عنه ــ ليخرجن مما قال ، فلما فرغ سألوه ، فقال : وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد ، وإن جاوزوا هلكوا ، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه ، فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر ــ رضي الله تعالى عنه ــ في ذلك اليوم ، قال : فعدلنا إلى الجبل ، ففتح الله علينا " رواه البيهقي في دلائل النبوة باب ما جاء في إخبار النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمحدثين كانوا في الأمم ، ٦ / ٣٧٠ ، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ١ / ١٦٢ ، الاعتقاد للبيهقي : ٢٤٤ ، كرامات الأولياء للالكائي : ٢ / ٤٠٢ ، دلائل النبوة للأصبهاني : ٤٢٢ ، كشف الخفاء للعجلوني : ٢ / ٥١٤ ، ٥١٥ ، وقال : قد أفرد الحافظ القطب الحلبي لطرقه جزءا ، ووثق رجال هذا الطريق ، وقال : ذكره ابن عساكر وابن ماكولا وغيرهم .

على المدينة ، [١] وقال له : " أنت مني بمنـــزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " [٢] .

ونقل حافظ الدين الكردري عن أبي حنيفة أنه تناظر مع شيعي فقال له : " نحن نقول : كان الحق للصديق ، فسلَّم عليٌ ــ رضي الله عنهما ــ الحق له ، فكان مـــن أشدّ الناس ، وأنتم قلتم : كان الحق لعلي فأخذه الصديق بقوة ، فكان الصديق أشدَّ النـــاس حيث أخذ منه حقه بقوته بلا تسليم " [٣] .

ولموقف الشيعة من صحابة رسول الله ــ ﷺ ــ واتهامهم إياهم بالردة إلا نفـــرا قليلا منهم لم يقبل أبو حنيفة الأثر إذا روي عنهم ، نقل الخطيب البغدادي عن عمـــر بـــن إبراهيم قال : " سمعت ابن المبارك يقول : سأل أبو عصمة الإمام أبا حنيفة : بمن تأمرني أن أسمع الأثر ؟ قال : من كل عدل في هواه إلا الشيعة فـــإن أصـــل عقيـــدتهم تضـــليل أصحاب محمد ــ ﷺ ــ " [٤] .

ثالثا: موقفه من القدرية :

هم القائلون بقدرة العبد على خلق أفعاله ونفوا القدر ، وقد سموا بهذا الاسم لأنهم اتخذوا من القدر عنوانا لمذهبهم ، وكان البحث في القدر من أوائـــل المســـائل التـــي دار الجدل فيها بين المسلمين ، روى الإمام مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميـــد بـــن عبـــد الـــرحمن الحميري حاجَّين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحدا من أصـــحاب رســـول الله ــ ﷺ ــ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صـــاحبي ســـيكل

---

[١] الاستيعاب لابن عبد البر : ٣ / ٣٥ .

[٢] رواه البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك وهي غـــزوة العســـرة (٤٤١٦) ٥١٧ ، ومســـلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٣) ٤ / ١٨٧٠ .

[٣] مناقب أبي حنيفة للكردري : ١٨٠ .

[٤] الكفاية للخطيب البغدادي : ٣٠٢ .

الكلام إليَّ ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلَنا ناس يقرؤون القرآن ويتَفَقَّرُون العلم ، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف ، قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم ، وأنهم برآء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر " [١] ، وروه أبو حنيفة في مسنده بألفاظ متقاربة ، وزاد : " ولو أني وجدت أعوانا لجاهدتهم " [٢] .

ومعبد بن عبد الله الجهني كان ــ كما مر ــ أول من تكلم بالقدر ، وقد نهى الحسن البصري ــ رحمه الله تعالى ــ عن مجالسته ، وقال : هو ضال مضل ، وكان يجالس الحسن البصري فاقتدى به جماعة منهم عمرو بن عبيد المعتزلي ، وقد تبعه أهل البصرة في القول بنفي القدر ، وقدم المدينة فأفسد فيها ناسا ، وتبعه قوم ، فوقف بوجهه صحابة رسول الله ــ ﷺ ــ وخرج معبد هذا مع ابن الأشعث فأخذه الحجاج وعذبه ، ثم صلبه بأمر عبد الملك بن مروان [٣] .

وتأتي بعد شخصية معبد الجهني شخصية غيلان الدمشقي الذي بالغ بنفي القدر حتى أحضره عمر بن عبد العزيز ــ رحمه الله تعالى ــ فامتحنه فتراجع وأعلن توبته ، وعاد بعد ذلك في مقالته في عهد هشام بن عبد الملك ــ وكان شديدا على القدرية ــ فامتحنه فأقر بنفي القدر ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه فمات وصلب على باب دمشق [٤].

وكانت له مع أبرز رؤوسهم ــ غيلان الدمشقي ــ مناظرة ، قال فيها غيلان لأبي حنيفة : تقول : إن المعاصي بمشيئة الله ومراده ، فقال له أبو حنيفة : وأنت تقول : إنها بكرهٍ من الله وعجزه ، ومن نسب الله إلى العجز فهو كافر فانقطع غيلان " [٥] .

---

[١] صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٨) ١٥ .

[٢] مسند أبي حنيفة : ١٤ .

[٣] ميزان الاعتدال للذهبي : ٤ / ١٤١ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٩ / ٣٤ ، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني : ١٠ / ٢٢٥ ، شذرات الذهب لابن العماد : ١ / ٨٨ .

[٤] ينظر : المعارف لابن قتيبة : ٢١٢ ، سرح العيون لابن نباتة المصري : ١٥٧ ، ١٥٨ .

[٥] أصول الدين عند أبي حنيفة : ١٨٣ ، نقلا عن الكنز الخفي من اختيارات الصفي .

وناظر أبو حنيفة جماعة من القدرية كانوا قد أتوا إليه فقالوا له : نخاصمك، قال : فيم تخاصمونني ؟ قالوا : في القدر ، قال : أما علمتم أن الناظر في القدر كالناظر في شعاع الشمس ، كلما ازداد نظرا ازداد حيرة ، قالوا : ففي القضاء والعدل ، قال : فتكلموا على اسم الله ، فقالوا : هل يسع أحدا من المخلوقين أن يجري في ملك الله ما لم يقض ؟ قال : لا ، إلا أن القضاء على وجهين ، منه أمر وحي والآخر قدرة ، فأما القدرة فإنه لا يقضي عليهم ويقدر لهم الكفر ، ولم يأمر به بل نهى عنه ، والأمر أمران أمر الكينونة إذا أمر شيئا كان وهو على غير أمر الوحي ، قالوا : فأخبرنا عن أمر الله ، أموافق لإرادته أم مخالف ؟ قال : أمره من إرادته وليس إرادته من أمره ، وتصديق ذلك قول الله ــ ﷻ ــ لإبراهيم : " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ " [1] ، ولم يقل : ستجدني صابرا من غير إن شاء الله ، فكان ذلك من أمره ، ولم يكن من إرادته ذبحه ، قالوا : فأخبرنا عن اليهود والنصارى الذين قالوا على الله ــ ﷻ ــ ما قالوا : " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ " [2] فقضى الله على نفسه أن يشتم وأن تضاف إليه الصاحبة والولد ، فقال أبو حنيفة : إن الله لا يقضي على نفسه إنما يقضي على الله عباده ، ولو كان يقضي على نفسه لجرت عليه القدرة ، قالوا : فأخبرنا عن الله ــ ﷻ ــ إذا أراد من عبده أن يكفر أحسن إليه أم أساء ؟ قال : لا يقال أساء ولا ظلم إلا لمن خالف ما أمر به والله قد جلَّ عن ذلك ، وقد عرف عباده ما أراد منهم من الإيمان به ، فقالوا : يا أبا حنيفة : أمؤمن أنت ؟ فقال : نعم ، قالوا : أفأنت عند الله مؤمن ؟ قال : تسألونني عن علمي وعزيمتي أو عن علم الله وعزيمته ؟ قالوا : بل نسألك عن علمك ، ولا نسألك عن علم الله ، قال : فأنا بعلمي أعلم أني مؤمن ولا أعزم على الله ــ ﷻ ــ في علمه ، فقالوا : يا أبا حنيفة : ما تقول فيمن جحد حرفا من كتاب الله ؟ قال : كافر ، لأن الله ــ ﷻ ــ قال مهددا لهم وموعدا : " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

---

[1] سورة الصافات : ١٠٢ .

[2] سورة التوبة : من الآية ٣٠ .

وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ " [1] قالوا : فإن كان هذا من باب الوعيد ، وقال : إني لا أؤمن ولا أكفر ، قال : فقد خصمتم أنفسكم ، ألا ترون أني إن لم أؤمن فأنا مجبور في إرادة الله ــ ﷻ ــ على الكفر ، وإن لم أكفر فأنا مجبور في إرادة الله ــ ﷻ ــ على الإيمان ، قالوا : يا أبا حنيفة : حتى متى تضل الناس ؟ قال : ويْحَكُم ، إنما يضل النـــاس مـــن يســـتطيع أن يهديهم والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء " [2] .

وقال أبو حنيفة لقدري : جئت أم جيء بك ؟ قال : بل جئت باختياري ، فقال : اجلس ، فجلس ، فقال أبو حنيفة : جلستَ أم أُجْلست ؟ قال : بل جلستُ باختياري ، قال له : قم ، فقام القدري ، فقال له أبو حنيفة : ارفع إحدى رجليك ، فرفعها ، فقال له : رَفَعتَ أو رُفِعَتْ لك ؟ قال : بل رفعتها ، قال : فإن كان كما زعمت فكل هـــذه الأفعـــال منـــك وباختيارك فارفع الرجل الأخرى قبل أن تضع الأولى ، فتحيَّر القدري . [3]

وقد أرشد الإمام أبو حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ طلابه إلى كيفية الوقوف بوجه القدرية وإفحامهم وإبطال حججهم قائلا لهم : " إذا كلمت القدري فإنما هما حرفان إما أن يسكت وإما أن يكفر ، يقال له : هل علم في سابق علمه أن تكون هذه الأشياء كما هي ؟ فإن قال : لا ، فقد كفر ، وإن قال نعم ، يقال له : أفأراد أن تكون كما علـــم ، أم أراد أن تكون بخلاف ما علم ؟ فإن قال: أراد أن تكون كما علم فقد أقرّ أنـــه أراد مـــن المـــؤمن الإيمان ومن الكافر الكفر ، وإن قال : أراد أن تكون بخلاف ما علم فقد جعل ربه متمنيـــا متحسرا لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون ، أو لا يكون ما علم أنه يكون ، فإنـــه متمنٍّ متحسِّرٌ ، ومن جعل ربه متمنيا متحسرا فهو كافر " [4] .

وقد سطر بطلان معتقدهم هذا في فقهه الأكبر فقال : " وهو الذي قدر الأشـــياء وقضاها ، ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره "

---

[1] سورة الكهف : من الآية ٢٩ .

[2] الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر : ١٦٤ ، ١٦٥ .

[3] أصول الدين عند أبي حنيفة : ١٨٤ ، نقلا عن الكنز الخفي من اختيارات الصفي .

[4] تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣ / ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

[١] ، قال الملا علي القاري في شرحه : أي والحال أنه قدر الأشياء على طبق إرادته ، وحكم وفق حكمته في الإنشاء ، ونقل عن أبي حنيفة في كتابه الوصية : ثم نقر بأن تقدير الخير والشر كله من الله ــ تعالى ــ : " قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ " [٢] ومن زعم أن تقدير الخير والشر من عند غير الله كان كافرا بالله ، وبطل توحيده لو كان له التوحيد . [٣]

وقال في موطن آخر : " وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة ، والله ــ تعالى ــ خالقها كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره " [٤] .

وقال ــ رحمه الله ــ : " ولم يجبر أحدا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان ولكن خلقهم أشخاصا ، والإيمان والكفر فعل العباد ، ويعلم الله ــ تعالى ــ من يكفر في حال كفره كافرا فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا وأحبه من غير أن يتغير علمه" [٥].

وقد روى ــ رحمه الله ــ في مسنده أحاديث عدة تبين حال القدرية على لسان النبي ــ ﷺ ــ منها : " يجيء قوم يقولون لا قدر ثم يخرجون منه إلى الزندقة ، فإذا لقيتموهم فلا تسلموا عليهم ، وإن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشيعوهم فإنهم شيعة الدجال ومجوس هذه الأمة ، حق على الله ــ ﷻ ــ أن يلحقهم بهم في النار " [٦] .

رابعا: موقفه من الجهمية :

هم أتباع جهم بن صفوان المكنى بأبي محرز ، وكان مولى لبني راسب من الأزد ، دعا إلى مذهبه في ترمذ ، ثم أقام ببلخ ، وكانت بينه وبين مقاتل بن سليمان مجادلات ومناظرات ، وهما على طرفي نقيض في الإفراط ، جهم في نفي الصفات ، ومقاتل في التشبيه ، حتى قال فيهما الإمام الأعظم ــ رحمه الله تعالى ــ : " أفرط جهم

---

[١] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ١٤ .
[٢] سورة النساء : من الآية ٧٨ .
[٣] شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري : ٦٣ .
[٤] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ١٦ .
[٥] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ١٦ .
[٦] مسند أبي حنيفة : ١٧ .

في نفي التشبيه حتى قال : إنه ــ تعالى ــ ليس بشيء ، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه " [١] ، وكان جهم من أنصار الحارث بن سريج في خروجه على مروان بن محمد الحمار ، وانتهى الأمر بمقتل الحارث ووقوع جهم أسيرا في يد سلم بن أحوز المازني ، فأمر سلم بقتله ، [٢] ، وكان يقول بالإجبار ، والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تفنيان ، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله ــ تعالى ــ فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط ، كما أنه أنكر رؤية الله ــ تعالى ــ [٣] .

وكان أبو حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ يذم جهما ويعيب قوله هذا كله [٤] ، وقال : " أتانا من المشرق رأيان خبيثان : جهم معطل ، ومقاتل مشبه " [٥] .

ولقد كان موقف الإمام أبي حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ من هذه الفرقة صريحا وذلك بإصدار الحكم الواضح بحق زعيمها ، وقد نقل الخطيب البغدادي عن الحماني [٦] أنه قال : " سمعت أبا حنيفة يقول : جهم بن صفوان كافر " [٧] ولذلك قال أبو منصور البغدادي : " وكفّره أصحابنا في جميع ضلالاته ، وكفّرته القدرية في قوله بأن الله ــ تعالى ــ خالق أعمال العباد ، فاتفق أصناف الأمة على تكفيره " [٨] .

---

[١] تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣ / ١٦٦ ، فتح الباري لابن حجر : ١٣ / ٣٤٥ ، تأريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي : ٧ .

[٢] الفرق بين الفرق للبغدادي : ١٨٦ ، البداية والنهاية لابن كثير : ١ : ٢٦ ، ٢٧ .

[٣] مقالات الإسلاميين للأشعري : ١ / ٣٣٨ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ٨٦ ، الفرق بين الفرق للبغدادي : ١٨٦ .

[٤] تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣ / ٣٨٢ .

[٥] م . ن : ١٣ / ١٦٤ .

[٦] أبو يحيى عبد الحميد بن عبد الرحمن الحِمَّاني الكوفي ، صدوق يخطئ ورمي بالإرجاء ت ٢٠٢ هـ ، تهذيب التهذيب لابن حجر : ، تقريب التهذيب له : ١ / ٤٦٩ .

[٧] تأريخ بغداد : ١٣ / ٣٨٢ .

[٨] الفرق بين الفرق : ١٨٦ .

ولم يقتصر حكم أبي حنيفة هذا على جهم في غيابه فحسب ، بل أسمعه إياه مشافهة بعدما ناظره في إحدى المرا ت ، وقد نقل ذلك البزدوي قال : " إنه بعدما ناظره قال له : اخرج عني يا كافر " [١] .

ولا يُظنُّ أن حكمه هذا مقتصر على جهم وحده ، بل إنه قد تعداه إلى الطائفة كلها ، قال ــ رحمه الله ــ : " صنفان من شرّ الناس بخراسان : الجهمية والمشبهة ، ربما قال : والمقاتلية " [٢] .

ويتلخص موقف أبي حنيفة منه ومن أقواله فيما يأتي :

١ــ تبديعه وعدم جواز الصلاة خلفه لقوله بخلق القرآن ، جاء في تأريخ بغداد [٣] أن عبد الله بن المبارك قدم على أبي حنيفة ، فقال له أبو حنيفة : ما هذا الذي دبّ فيكم ؟ قال له : رجل يقال له جهم ، قال : وما يقول ؟ قال : يقول القرآن مخلوق ، فقال أبو حنيفة : " كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً " [٤] ، وروى عن أبي يوسف ــ رحمه الله ــ أن أبا حنيفة قال : " من قال القرآن مخلوق فهو مبتدع ، فلا يقولن أحد بقوله ، ولا يصلين أحد خلفه " [٥] .

٢ــ تكفيره لإفراطه في النفي حتى قال : إن الله ليس بشيء .

٣ــ رد عليه قوله : " إن الإيمان هو معرفة الله ــ تعالى ــ لا غير " ، وقد رد أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ جهما على عقبه منكسرا ذليلا إلا أن كبرياءه وباطله لم يجعله يصرح بالإذعان ، **فقد جاء في مناقب المكي أن جهم بن صفوان قصد أبا حنيفة للكلام** " فلما لقيه قال : يا أبا حنيفة أتيتك لأكلمك في أشياء هيأتها لك ، فقال أبو حنيفة : الكلام معك عار ، والخوض فيما أنت فيه نار تتلظى ، قال فكيف حكمت عليّ بما حكمت ولم تسمع

---

[١] أصول للبزدوي : ١ / ١١ .

[٢] تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣ / ٣٨٢ .

[٣] م . ن : ١٣ / ٣٨٤ .

[٤] سورة الكهف : من الآية ٥ .

[٥] تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣ / ٣٨٣ ــ ٣٨٤ .

كلامي ، ولم تلقني ؟ قال : بلغني عنك أقاويل لا يقولها أهل الصلاة ، قال : أفتحكم عليَّ بالغيب ؟ قال : اشتهر ذلك عنك ، وظهر عند العامة والخاصة ، فجاز أن أحقق ذلك عليك ، فقال : يا أبا حنيفة لا أسألك عن شيء إلا عن الإيمان ، قال : أو لم تعرف الإيمان إلى الساعة حتى تسألني عنه ؟ ، قال : بلى ، ولكن شككت في نوع منه ، قال : الشك في الإيمان كفر ، فقال : لا يحل لك إلا أن تبين لي من أي وجه يلحقني الكفر ، قال : سل ، فقال : أخبرني عمن عرف الله بقلبه ، وعرف أنه واحد لا شريك له ولا ند ، وعرف بصفاته ، وأنه ليس كمثله شيء ثم مات قبل أن يتكلم بلسانه أمؤمنا مات أم كافرا ؟ قال : كافر من أهل النار ، حتى يتكلم بلسانه ما عرفه بقلبه ، قال : وكيف لا يكون مؤمنا وقد عرف الله بصفاته ؟ قال أبو حنيفة : إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة كلمتك به ، وإن كنت تؤمن به ولا تجعله حجة كلمتك بما تكلم به من خالف ملة الإسلام ، قال : أؤمن بالقرآن وأجعله حجة ، فقال أبو حنيفة : قد جعل الله ــ تبارك وتعالى ــ الإيمان بكتابه بجارحتين بالقلب واللسان ، فقال ــ تبارك وتعالى ــ : " وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۞ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ " [1] فأوصلهم الجنة بالمعرفة والقول ، وجعلهم مؤمنين بالجارحتين القلب واللسان ، وقال ــ تعالى ــ : " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " [2] ، وقال ــ تعالى ــ : " وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً " [3] ، وقال ــ

---

[1] سورة المائدة : ٨٣ ــ ٨٥ .

[2] سورة البقرة : ١٣٧ ، ١٣٨.

[3] سورة الفتح : من الآية ٢٦ .

تعالى ــ : " وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ " [١] وقال ــ تعالى ــ : " إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ " [٢] وقال ــ تعالى ــ : " يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ " [٣] ، وقال النبي ــ ﷺ ــ : " قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " [٤] ، فلم يجعل له الفلاح بالمعرفة دون القول ، وقال النبي ــ ﷺ ــ : " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه كذا " [٥] ، ولم يقل يخرج من النار من عرف الله وكان في قلبه كذا ، ولو كان القول لا يُحتاج إليه ويُكتفى بالمعرفة لكان من جحد الله باللسان وعرفه بقلبه مؤمنا ، ولكان إبليس مؤمنا لأنه عارف بربه ، يعرف أنه خالقه ومميته وباعثه ومغويه ، قال : " قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ " [٦] وقال ــ تعالى ــ : " قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ " [٧] ، وقال : " قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ " [٨] ، ولكان الكفار مؤمنين بمعرفتهم ربهم وإن أنكروا بلسانهم ، قال الله ــ تعالى ــ " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " [٩] ، فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله واحد مؤمنين مع جحدهم بلسانهم ، وقال ــ جل وعز ــ : " يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ " [١٠] ، وقال ــ تعالى ــ : " قُلْ مَنْ

---

[١] سورة الحج : ٢٤ .

[٢] سورة فاطر : من الآية ١٠ .

[٣] سورة إبراهيم : من الآية ٢٧ .

[٤] أخرجه أحمد في مسنده : ٤ / ٦٣ ، قال محققه : إسناده صحيح ، كلهم ثقات مشاهير ، أبو النضر هو هاشم بن القاسم ، وشيبان هو عبد الرحمن النحوي ، وأشعث هو ابن أبي الشعثاء ، ١٣ / ٨٦ .

[٥] أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله ــ تعالى : " لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ " سورة صّ : من الآية ٧٥ ، (٧٤١٠) ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣) ٦١

[٦] سورة الحجر : ٣٩ .

[٧] سورة الأعراف : ١٤ .

[٨] سورة الأعراف : ١٢ .

[٩] سورة النمل : ١٤ .

[١٠] سورة النحل : ٨٣ .

يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ " [1] ، فلم تنفعهم معرفتهم مع إنكارهم ، قال ــ تعالى ــ : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " [2] ، يعني النبي ــ ﷺ ــ فلم تنفعهم المعرفة مع كتمانهم أمره وجحودهم به ، **فقال له جهم :** قد أوقعت في خلدي شيئا فسأرجع إليك ، فقام من عنده ولم يعد إليه " . [3]

خامسا: موقفه من المعتزلة :

هم أتباع : واصل بن عطاء [4] ، عمرو بن عبيد [5] ، وكانا من تلامذة الحسن البصري ، ثم اعتزلا مجلسه لاختلافهما معه ، فأطلق الناس عليهما وعلى أتباعهما هذا الاسم ، وأصول الدين عندهم خمسة هي : " التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " وهناك مسائل يتميزون بها عن غيرهم ويلتقون فيها مهما اختلفوا فيما بينهم ، أهمها ما يأتي :

---

[1] سورة يونس : ٣٢ .

[2] سورة البقرة : ١٤٦ .

[3] مناقب أبي حنيفة للمكي : ١٢٣ ــ ١٢٦ .

[4] هو : أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي ، المعروف بالغزال ، كان أحد البلغاء المتكلمين في علم الكلام وغيره ، كان يقول : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، منزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن البصري عن مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما : معتزلون ، ت ١٨١ هـ ، وفيات الأعيان لابن خلكان : ٦ / ٧ ــ ٣ ، سير أعلام النبلاء للذهبي : ٥ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، لسان الميزان لابن حجر : ٦ / ٢١٤ .

[5] هو : أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب ، المتكلم الزاهد المشهور ، كان شيخ المعتزلة في وقته ، له رسائل وخطب ، وكتاب التفسير عن الحسن البصري ، والرد على القدرية ، وكلام كثير في العدل والتوحيد ، ت ١٤٤ هـ ، تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٢ / ١٦٦ ، وفيات الأعيان لابن خلكان : ٣ / ٤٦٠ ، سير أعلام النبلاء للذهبي : ٦ / ١٠٤ ــ ١٠٦ (٢٧) .

١. نفي زيادة الصفات على الذات .
٢. القول بخلق القرآن وأنه ليس صفة لله .
٣. استحالة رؤية الله تعالى في الآخرة .
٤. يجب على الله فعل الأصلح .
٥. أن الناس قادرون على أفعالهم ، وهم الفاعلون لها حقيقة .
٦. القول بالمنزلة بين المنزلتين (الإيمان والكفر) وذلك بالنسبة لمرتكب الكبيرة . [١]

أما موقف الإمام أبي حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ من هذه الفرقة فيتضح فيما يأتي :

أ . لعنه لثاني أكبر رموز مذهبهم ، فقد نقل محمد بن الحسن الشيباني عن أبي حنيفة قال : " لعن الله عمرو بن عبيد ، فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام " [٢] .

ب . الإنكار عليهم في قولهم بخلق القرآن ، ووصفه ومن وافقهم في ذلك بالتبديع ، ونهي المسلمين عن الصلاة خلف من يقول بهذا القول ، روى الخطيب البغدادي عن أبي يوسف ــ رحمه الله ــ أن أبا حنيفة قال : " من قال القرآن مخلوق فهو مبتدع ، فلا يقولن أحد بقوله ، ولا يصلين أحد خلفه " [٣] ، وأكد ذلك ــ في موضعين اهتماما بالمسألة ــ في الفقه الأكبر فقال : " وكلام الله ــ تعالى ــ غير مخلوق " [٤] ، وبين الملا علي القاري أنه أراد بهذا الرد على المعتزلة [٥] .

---

[١] ينظر : مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري : ١ / ٢١٦ ، الفرق بين الفرق للبغدادي : ١٠٤ــ ١٧٦ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي : ٢٨ ، ٢٩ ، شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار : ١٢٢ ، ١٢٣ .

[٢] أصول الدين عند أبي حنيفة : ١٩٤ ، نقلا عن الهروي في ذم الكلام .

[٣] تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣ / ٣٨٣ ــ ٣٨٤ .

[٤] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

[٥] شرح الفقه الأكبر : ٤٥ ، وقد استطر في ذكر تفاصيل هذه المسألة .

ج . وصف المذهب كله بالتمويه [١] ، وأن المعتزلة أصحاب أهواء ، قال ــ رحمه الله ــ تعالى ــ : " ولم يكن في طبقات أهل الأهواء أحد أجدل من المعتزلة ، لأن ظاهر كلامهم مموه تقبله القلوب " [٢] .

ء . أما معتقدهم في الصفات السمعية ، فقد رد عليهم القول بالتأويل ، ونحى في ذلك منحى السلف الصالح في تفويض أمر هذه الصفات إلى الله والإيمان بها كما جاءت ، فقال : " وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله ــ تعالى ــ في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس ، فهو له صفات بلا كيف ، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة ، وهو قول أهل القدر **والاعتزال** ، ولكن يده بلا كيف " [٣] ، قال الملا علي القاري : " (وهو) أي إبطال الصفة من أصلها وبأسرها (قول أهل القدر) أي عموما (والاعتزال) أي خصوصا بناء على توهم لزوم تعدد القدماء ، فإن صفة القديم لا يكون إلا قديما " [٤] ، ونقل عنه في كتاب الوصية أنه قال : " نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه ، وهو الحافظ للعرش وغير العرش ، فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ، ولو صار محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله ــ تعالى ــ ؟ فهو منزه عن ذلك علوا كبيرا " [٥].

هـ . ورد عليهم قولهم : إن العبد خالق لأفعاله الاختيارية من الضرب والشتم وغير ذلك ، مستدلا بقوله ــ تعالى ــ : " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ " [٦] ، قال الملا علي

---

[١] التمويه يقال : موَّه الخبر عليه : أخبره بخلاف ما سأله ، ينظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي : باب الهاء ، فصل الميم ، الماء ، ١٢٥٣ .

[٢] مناقب أبي حنيفة للمكي : ١٣٢ .

[٣] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ١٣ ، ١٤ .

[٤] شرح الفقه الأكبر :٥٩ .

[٥] م . ن : ٦١ .

[٦] سورة الصافات : ٩٦ .

القاري : " أي وعملكم أو معمولكم ، وبه احتج أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ على عمرو بن عبيد " [١]

سادسا: موقفه من المرجئة :

سميت هذه الطائفة بالمرجئة لقولهم بتأخير الأعمال عن الإيمان [٢] ، أي أنهم قد بالغوا بإثبات الوعد وغلَّبوا نصوصه على نصوص الوعيد على نقيض الخوارج الذين غلبوا نصوص الوعيد [٣] ، وهم على ثلاث طوائف رئيسية ، وهي :

أ . مرجئة جبرية : وهم الذين أضافوا مع قولهم بالإرجاء القول بالجبر ، وهي عقيد الجهم بن صفوان ــ كما مر ــ حتى أنه أنكر الاستطاعات كلها ، فالإنسان عندهم ليست له إرادة ولا اختيار .

ب . مرجئة قدرية : وهي على نقيض الأولى ، فقد أضافوا إلى قولهم بالإرجاء قولهم بنفي القدر ، وهم أتباع غيلان الدمشقي السابق ذكره وذكرهم .

ج . المرجئة الخالصة : وهم الذين لم يتطرقوا إلى القدر نفيا أو إثباتا ، وهؤلاء على طوائف عدة [٤] .

ولا يخفى على الباحث في علم الكلام أن الإمام أبا حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ قد اتهم بالإرجاء ، ولا أريد أن أخوض في تفاصيل ذلك لأن هناك مؤلفات ورسائل جامعية قد أفردته بالبحث [٥] وسأكتفي ــ هنا ــ ببيان موقفه من المرجئة القائلين بأن الإيمان لا تضر معه معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وأن أهل القبلة لا يدخلون النار

---

[١] شرح الفقه الأكبر : ٧٩ .

[٢] أخذا من المعنى اللغوي للإرجاء الذي هو التأخير ، ينظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي : باب الهمزة ، فصل الراء ، أرجأ ، ٤١ .

[٣] التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني : ٩٧ .

[٤] ينظر : الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي : ١٧٨ ــ ١٨٢ ، التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني : ٩٧ ــ ٩٩ ، الملل والنحل للشهرستاني : ١ / ١٤٠ ــ ١٤٤ .

[٥] وقد أحسن الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في توجيه ذلك وصرفه عن أبي حنيفة ــ رحمه الله ــ وذلك في تحقيقه لمقالات الإسلاميين للأشعري : ١ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

مهما اقترفوا من المعاصي ، قال ــ رحمه الله تعالى ــ : " ولا نقول إن المؤمن لا تضره الذنوب ، ولا نقول إنه لا يدخل النار ، ولا نقول إنه يخلد فيها وإن كان فاسقا بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنا ولا نقول إن حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة **كقول المرجئة** " [١] ، ولقد تبرَّأ ــ رحمه الله ــ من الإرجاء كما نقله البتي في رسالة أبي حنيفة إليه : " وأما ما ذكرت من اسم المرجئة فما ذنب قوم تكلموا بعدل ، وسماهم أهل البدع بهذا الاسم ، ولكنهم أهل عدل وأهل السنة ، وإنما هذا اسم سماهم به أهل الشنآن " [٢]

سابعا : موقفه من المُشَبِّهة :

يعد المفسر المشهور أبو الحسن مقاتل بن سليمان الخراساني البلخي حامل لواء التشبيه ، ولعل ذلك قد أتاه من أخذه عن اليهود والنصارى وإدخاله في تفسيره أو معتقده [٣] ، والمشبهة طوائف عدة وفرق متعددة [٤] ، وسأكتفي بذكر ما قاله أبو حنيفة في مقاتل بن سليمان ، ومن خلاله يتبين موقفه وحكمه على هذه الطائفة كلها قال : " أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال : إنه ــ تعالى ــ ليس بشيء ، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه " [٥] ، وقال : " أتانا من المشرق رأيان خبيثان : جهم معطل ، ومقاتل مشبه " [٦] ، وقال ــ أيضا ــ : " صنفان من شرّ الناس بخراسان : الجهمية والمشبهة ، ربما قال : والمقاتلية " [٧] .

---

[١] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ٢٠ ، ٢١ ، وانظر شرح علي القاري لقوله هذا : ١٠٨ ــ ١١١ .

[٢] رسالة أبي حنيفة للبتي : ٣٨ .

[٣] ينظر : ميزان الاعتدال للذهبي : ٤ / ١٧٣ ، تهذيب التهذيب لابن حجر : ١٠ / ٢٧٩ .

[٤] ينظر في تفاصيل ذلك : الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي : ١٩٨ ــ ٢٠٢ ، التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني : ١١٩ ــ ١٢٢ .

[٥] تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣ / ١٦٦ ، فتح الباري لابن حجر : ١٣ / ٣٤٥ ، تأريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي : ٧ .

[٦] م . ن : ١٣ / ١٦٤ .

[٧] تأريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٣ / ٣٨٢ .

وقد سطر رده على هذه الطائفة ومعتقدها في فقهه الأكبر ليبقى ماثلا بين يدي المسلمين على مرّ العصور والدهور فقد قال : " ولا يشبه شيئا من الأشياء من خلقه ، ولا يشبهه شيء من خلقه " [١] .

ثامنا: موقفه من الملاحدة :

والمَلاحدة ــ بفتح الميم ــ : جمع مُلحدة ــ بضم الميم وهاء تأنيث ــ جمع مُلحد ــ بإسقاط هاء التأنيث ــ : اسم فاعل من ألحد [٢] ، إذا مال وعدل عن القصد ومارى وجار ، وفي الاصطلاح : هم الذين يعدلون عن ظواهر النصوص إلى معان باطنة ــ كما يدعون ــ لا يعرفها إلا المعلم ، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية [٣] .

قال ــ رحمه الله تعالى ــ في إبطال مقولتهم هذه : " ولا نقول إن المؤمن ... لا يدخل النار " [٤] ، قال القاري : " كما يقوله المرجئة والملاحدة والإباحية " [٥] .

وقد ناظره قوم من الملاحدة فقال لهم : " ما تقولون في رجل يقول لكم : إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال ، مملوءة بالأمتعة ، وقد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهي من بينها تجري مستوية ليس فيها ملاح يجريها ويقودها ويسوقها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك في العقل ؟ فقالوا : لا ، هذا لا يقبله العقل ، ولا يجيزه الوهم ، فقال لهم أبو حنيفة : فيا سبحان الله ! إذا لم يجز في العقل وجود سفينة تجري مستوية من غير متعهد ، فكيف يجوز قيام الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أمورها ، وسعة أطرافها ، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها " [٦] ، وناظر ملحدا آخر ، ولما أقام عليه الحجة قال الملحد : إنما تغيرت الأشياء من حال إلى

---

[١] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ٩ .

[٢] القاموس المحيط للفيروز آبادي : باب الدال ، فصل اللام ، ألحد ، ٣١٧ وفيه: جادل بدل جار.

[٣] شرح العقائد النسفية للتفتازاني : ١٩١ ، ١٩٢ .

[٤] الفقه الأكبر لأبي حنيفة : ٢٠ .

[٥] شرح الفقه الأكبر : ١٠٩ .

[٦] مناقب أبي حنيفة للمكي : ١٥١ .

حال لأن بناءها على الطبائع الأربعة ــ رطوبة ويبوسة وبرودة وحرارة ــ فما دامت هذه الطبائع مستوية وصاحبها مستويا ، ومتى غلبت طبيعة منها على سائرها زالت عن الاستواء فزال استواء صاحبها ــ أيضا ــ ، فقال أبو حنيفة : أقررت بالصانع والمصنوع ، والغالب والمغلوب ، من حيث أنكرت ، لأنك قلت : إحدى الطبائع تغلب على سائرها ، وسائرها تصير مغلوبة ، فثبت أن للعالم غالبا في الحكمة ، فقد تعدينا عن مسألتكم ، فقلنا : الغالب ليس هو إلا الصانع جلَّت قدرته " [1] .

الخاتمـــــــــــة

يروق لي ــ بعد إتمام هذا البحث بعون الله تعالى ــ أن أسطر أهم النتائج التي توصلت إليها ، وهي كما يأتي :

١ــ إن الإمام أبا حنيفة ــ رحمه الله ــ قد ابتدأ حياته العلمية بمقارعة الخصوم من أصحاب الفرق الضالة ، والنحل الباطلة ، وقد تبين ذلك جليا في التمهيد في قوله : " أن

[1] شرح الفقه الأكبر للماتريدي : ٢٣ .

أبا حنيفة قال : كنت رجلا أعطيت جدلا في الكلام ، فمضى دهر أتردد فيه ، وبه أخاصم ، وعنه أناضل ... وكنت نازعت طبقات الخوارج من الإباضية والصفرية وغيرهم " .

٢ــ وكان له من الخوارج موقف واضح في إبطال أفكارهم ، إلا أنه مع ذلك لا يغلظ القول معهم أو يهيج عليهم جماهير المسلمين ، لما يعرف من نزعتهم العصبية والهوس والتشدد لفكرتهم ، مع الخشونة في الدفاع عنها وإن أدى ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم ، ولذلك قال فيهم : " لولا علي لم نعرف السيرة في الخوارج " ، وكان رده على مقولة الخوارج في التحكيم وأصحابه واضحا : " وأفضل الناس بعد النبيين ــ عليهم الصلاة والسلام ــ أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي ابن أبي طالب المرتضى ــ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ــ عابدين ثابتين على الحق ومع الحق نتولاهم جميعا " .

٣ــ وتجلى موقفه من الشيعة والمغالين منهم ، فقد ردّ حديث ردّ الشمس لسيدنا علي ــ ﷺ ــ ، وبين موقفه ممن يقع في أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ منهم ، فأجاب أبا عصمة حينما سأله : بمن تأمرني أن أسمع الأثر ؟ قال : من كل عدل في هواه إلا الشيعة فإن أصل عقيدتهم تضليل أصحاب محمد ــ ﷺ ــ .

٤ــ وكان موقفه من القدرية أوضح من سابقيه حيث كانت له معهم صولات وجولات كما هو مبين في رده عليهم ومناظراته معهم في إبطال معتقدهم ، حتى أنه روى عدة أحاديث في مسنده تبين ضلالاتهم وتحذر من بدعتهم .

٥ــ وكان موقفه من الجهمية والمشبهة أشدّ وضوحا ، فقد وصف الفرقتين وإماميهما بالتعطيل والتشبيه والإفراط في ذلك ، ووصمهما بأصحاب الرأي الخبيث ، بل تجاوز ذلك كله ليحكم على جهم بالكفر ، ووصفه هو ومقاتل بأنهما من شر الناس.

٦ــ ولم يقلّ حكمه على المعتزلة وضوحا من حكمه على الجهمية والمشبهة ، فإذا كان قد صرح بكفر جهم فإنه لعن عمرو بن عبيد لأنه فتح للناس الطريق إلى الكلام ، ووصف الفرقة كلها بالبدعة ، وحكم بعدم جواز الصلاة خلف من يقول : القرآن مخلوق ، كما أنه وصفهم بأنهم أصحاب أهواء وتمويه .

٧ــ ورفض مقالة المرجئة رفضا قاطعا ، لأنها تدعو إلى الانفلات والانحلال ، فقال : " ولا نقول إن المؤمن لا تضره الذنوب ، ولا نقول إنه لا يدخل النار ، ولا نقول إنه يخلد فيها وإن كان فاسقا بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنا ولا نقول إن حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة " ، كما أنه تبرأ من وصفه بالإرجاء .

٨ــ وأبطل الفكر الإلحادي المبني على التحلل من الشرائع ، والعدول عن الظاهر إلى الباطن ، فكانت له مع الملاحدة مناظرات أبطل فيها منحاهم .

المصـــــــــــادر

أحمد بن حنبل : الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي ت ٢٤١ هـ

١. مسند أحمد المسمى " المسند الكبير " وبهامشه منتخب كنز العمال ، المكتب الإسلامي ، بيروت ــ لبنان ، ط/٢، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ، وطبعة دار الحديث ، القاهرة ، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر وأكمله حمزة الزين ، ط/ ١ ، ١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٥ م .

الإسفراييني : أبو المظفر طاهر بن محمد الشهير بشهفور ت ٤٧١ هـ

٢. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ـ لبنان ، ط/١، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

الأشعري : الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٣٣٠ هـ

٣. مقالات الإسلاميين ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الحداثة ، ط/٢، ١٩٨٥م .

البخاري : الإمام الحافظ أو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ت ٢٥٦ هـ

٤. صحيح البخاري ، تقديم أحمد محمد شاكر ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، ط/١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

البزدوي : أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم ت ٤٨٢ هـ

٥. أصول الفقه ، معه كشف الأستار للعلاء البخاري وضع حواشيه عبد الله محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م .

البغدادي :أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي ت ٤٢٩ هـ

٦. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، دراسة وتحقيق د.محمد عثمان الخشت ، مكتبة الساعي ، الرياض ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م .

البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي ت ٤٥٨ هـ

٧. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، تحقيق الدكتور السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط/١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٨. دلائل النبوة تحقيق د. عبد لامعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ،ط/١ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

التفتازاني : سعد الدين مسعود بن عمر ت ٧٩٢ هـ

٩. شرح العقائد النسفية ، تحقيق كلود سلامة ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٧٤م.

الجوزقاني : حسين بن إبراهيم

١٠. الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير ، تحقيق عبد الرحمن الفروائي ، طبعة الجامعة السلفية بناراس ، الهند .

ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي التيمي البغدادي ت ٥٩٧ هـ

١١. الموضوعات ، تقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ط/١ ، ١٣٨٦ هـ .

ابن حجر العسقلاني : الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ت ٨٥٢ هـ

١٢. تقريب التهذيب ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط/٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

١٣. تهذيب التهذيب ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن الهند، ط/١،١٣٢٥هـ.

١٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ط/١ ، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م .

١٥. لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط/٢ ،١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١ م مصورة عن مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ط/١ ، ١٣٥٠ هـ .

أبو حنيفة : الإمام الأعظم النعمان بن ثابت الكوفي ت ١٥٠ هـ

١٦. رسالة أبي حنيفة إلى البتي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٣٦٨هـ .

١٧. الفقه الأكبر ، تقديم وتعليق محمود عمران موسى ، مكتبة قباء للنشر ، بغداد ، ١٩٩٠ م .

١٨.مسند أبي حنيفة ، تقديم جميل إبراهيم حبيب ، مكتبة الشرق الجديد بغداد ، ١٩٨٨ م .

الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ت ٤٦٣ هـ

١٩.تأريخ بغداد أو مدينة السلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، د . ت .

٢٠.الكفاية في علم الرواية ، تحقيق أحمد عمر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، د . ت .

ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١ هـ

٢١.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت لبنان ، ١٩٦٨ م .

الخميس : الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس

٢٢.أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ، دار الصميعي ، الرياض ، ط/١ ، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م .

الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨ هـ

٢٣.سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٢٤.ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م .

الرازي : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ت ٦٠٦ هـ

٢٥.اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ـ مصر ، ١٩٣٨م .

أبو زهرة : الشيخ محمد أبو زهرة بن أحمد بن مصطفى بن أحمد ت ١٣٩٤ هـ

٢٦. أبو حنيفة ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ــ مصر ، ١٩٩١ م .

السكسكي : أبو الفضل عباس بن منصور التريني السكسكي الحنبلي ت ٦٨٣ هـ

٢٧. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، تحقيق د. بسام علي سلامة العموش ، مكتبة المنارة ، الزرقاء ــ الأردن ، ط/١، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

الشهرستاني : ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشافعي ت ٥٤٨ هـ

٢٨. الملل والنحل ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٦١ هـ .

الطحاوي : أبو جعفر

٢٩. مشكل الآثار ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ــ الهند .

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ت ٤٦٣ هـ

٣٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، طبع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٨ هـ .

٣١. الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، د . ت .

عبد الجبار : القاضي عبد الجبار بن أحمد بن الخليل الهمذاني المعتزلي ت ٤١٥ هـ

٣٢. شرح الأصول الخمسة ، تحقيق د. عبد الكريم عثمان ، نشر مكتبة وهبة / مصر ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، ط/١ ، ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٥ م .

العجلوني : إسماعيل بن محمد العجلوني الجرامي ت ١١٦٢ هـ

٣٣. كشف الخفاء ومزيل الالتباس ، تحقيق أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان، ط/٢ ، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠ م .

ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت١٠٨٩ هـ

٣٤.شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ــ لبنان ، د . ت .

الفيروز آبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي ت ٨١٧ هـ

٣٥.القاموس المحيط ، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ــ لبنان ، ط/٧، ١٤٢٤ هـ ــ ٢٠٠٣ م .

القاري : الملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي ت ١٠١٤ هـ

٣٦.شرح الفقه الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط/١، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م .

القاسمي : جمال الدين محمد الشامي الدمشقي ت ١٣٣٢ هـ

٣٧.تأريخ الجهمية والمعتزلة ، القاهرة ، ١٩١٢ م .

ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ

٣٨.تأويل مختلف الحديث ، تحقيق محمد زهري النجار ، دار الجيل ، بيروت ــ لبنان ، ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٢ م .

٣٩.المعارف ، تصحيح وتعليق محمد إسماعيل الصاوي ، المطبعة الإسلامية ، ١٩٣٤ م .

ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ

٤٠.البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ــ لبنان ، ط/٢ ، ١٩٧٧ م .

الكردري : حافظ الدين شمس الأئمة محمد بن محمد بن عبد الستار العمادي الحنفي ت ٦٤٢ هـ

٤١.مناقب أبي حنيفة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ، ط/١ ، د . ت .

اللالكائي : هبة الله أبو القاسم بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي اللالكائي ت ٤١٨ هـ

٤٢.كرامات الأولياء ، طبع بعد شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، منشورات محمد علي بيضون ، طم١ ، ١٤٢٣ هـ ــ ٢٠٠٢ م .

مسلم : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ

٤٣.صحيح مسلم ، خدمة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م .

المكي : أبو محمد الموفق بن طاهر بن يحيى المكي ت ٤٩٤ هـ

٤٤.مناقب أبي حنيفة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ، ط/١ ، د . ت .

ابن نباتة : أبو الفضائل محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي المصري ت ٧٦٨ هـ

٤٥.سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، القاهرة ، ٢٧٨١ هـ ــ ١٩٦١ م .